# الأمة.. وقراءة جديدة للسّيرة(*)

كان عليَّ أن أتجاوز كثيراً من العقبات النفسية ـ والحال هي الحال ـ قبل أن أمسك بالقلم لتكون هذه الكلمات في ذكرى مولد الرسول المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ. وأعترف أنَّ [**لا تدري ما أحدثوا بعدك**]، لا تني تزاولني وتأخذ عليَّ قلبي ومشاعري.. ولكنها الأمانة.. أمانة الكلمة.. ومسؤولية الواجب، والله المستعان.

وذلك لأن نبينا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كما هو اليقين ومدلول العقيدة ومنطق الواقع العملي في تاريخ هذه الأمة ـ: ليس في حياته وسيرته ـ وإن كانت الحال اليوم هي الحال ـ رجلاً فذاً في حياة الإنسانية وكفى.. ولكنه الرسول الموحى إليه أولاً ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ، وخاتم الرسل للإنس والجن ثانياً.. ثم إن رسالته على صعيد أمتنا، هي الأمانة التي لا يصح أن يبرح الحرص عليها والعمل بها: قلباً من القلوب أو عقلاً من العقول؛ فطاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من طاعة الله، ودين الله الذي بلَّغه وربى العصبة المؤمنة عليه قولاً وعملاً وتصوراً ومعاناة لشؤون الحياة، هو امتحان هذه الأمة اليوم في أن تأخذ أو تذر.. وعندما تعصف الرياح الهوج بقرنيها نذر السوء والتفلت، ترغيباً أو ترهيباً: تظهر حقيقة الإيمان، وما إذا كان هنالك وضوح في الرؤية عند هؤلاء الذين تربطهم بسيرة هذا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ آصرة العقيدة، وتشدهم إليها ملامح الصدق وعزمات الرجال.

---

(*) مجلة حضارة الإسلام، العدد الأول، السنة السادسة عشرة، ربيع الأول ١٣٩٥هـ، آذار ١٩٧٥م.

وإن أمر هذه السيرة التي غبر فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثة وعشرين عاماً من حياته ـ بدءاً من الأربعين ـ وهو يبلِّغ ويعلِّم ويربي ويزكي في الأحوال كافة: عجب من العجب، فإذا توافر وضوح الرؤية، وصدق العزيمة.. رأيت كل حلقة من حلقاتها شاهد صدق على قوله تباركت أسماؤه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، فقبل الأربعين لم يعهد عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلا الصدق والأمانة وسلامة السلوك، حتى إن الله حفظه من أن يقع في أي من تلك اللوثات التي وقع بها أقرانه وأبناء جيله.. وفي خلال ثلاثة وعشرين عاماً بعد أن أشرقت شمس الوحي، واهتزت الأرض بالحقيقة لكلمة السماء.. كان شغله الشاغل في حياته المباركة.. أداء الأمانة.. والصدق في تبليغ الرسالة.. في نفسه وأهله وقومه والناس.. يستوي في ذلك حالات الشدة والرخاء.. والسلم والحرب.. في إطار من الأخلاقية الفريدة في حياة الإنسان.. حتى لقي الله، وقد استوى الإسلام على سوقه، واستبان الصبح لكل ذي عينين. ولقد كان الصبر على الأذى.. والريادة الأمينة في تعبيد الطريق الموحشة المقفرة سلاحاً يقاتل.. ولساناً يطلق كلمة الحق..

ولئن كانت فرضية الجهاد الجماعي قد كتبت على المؤمنين بعد الهجرة.. فإن لوناً من الجهاد قوامه الجهر بالحق، واحتمال الأذى.. والصبر على وعورة الطريق.. كان ضياء التاريخ في مكة المكرمة.. حتى عرف القاصي والداني أن صبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وصنوف الأذى تنصب عليه وعلى صحبه يومذاك.. لم يكن صبر الذلة والاستكانة.. ولكنه صبر المجاهدين المدركين لمدلول كلمة (لا إله إلا الله) المعتزين بما عند الله.. إنه

الصبر على تبعات تغيير الواقع . . وريادة الطريق . . الصبر على حمل التبعة بأمانة . . والاطمئنان إلى الواجب بعمق ويقين . . ثم عدم التململ تحت ثقل المسؤولية مهما بدت صعبة ومرهقة . . فإن صبر الأذلاء المستكينين ليس من هذه السيرة المباركة في قليل ولا كثير، ولكنه الفكر المدسوس . . والزيف الذي لا يصح أن ينطلق على المؤمن متفتح البصيرة .

حتى إذا جاء العهد المدني : رأيت بناء مجمتع العقيدة والاحتكام إلى المنهج الرباني . . والنزول على كلمة الله ورسوله في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة، فإذا الذين كانوا تابعين بالأمس : أصبحوا هم المتبوعين لأمم الأرض اليوم وإذا ميادين الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلاقات الفردية والاجتماعية والدولية : هي من هذا النظام الذي قام على العقيدة، بحسبان . وإذا الإنسان الذي كان طاقة مهدرة بالأمس : يصبح اليوم حامل رسالة . .

وحمل الرسالة . . وما أدراك ما حمل الرسالة . . قول وعمل . . وعقيدة . . وجهاد . . وسلوك وحسن ممارسة للحياة . . ضمن منهج منضبط المقدمات والنتائج . . ونظرة موضوعية إلى الأمور من خلال سلم للقيم لا يحيد ولا يريم . . وعندما نقول الإنسان . . فالرجل والمرأة كل منهما في المكان الذي يحقق التكامل . . ويستنفد الطاقات فيما خلقه الله لأجله حسب تكوينه ومؤهلاته ؛ فخطاب التكليف بحمل الرسالة والعمل بأحكامها لهما جميعاً . . ولكن تختلف بعض الأحكام ـ لحكمة أرادها الله ـ اتساقاً مع الأهلية والاستعداد والتكوين الجسمي والنفسي . . ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ**

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

وإذا كان الأمر كذلك فالرسالة امتحان للرجل والمرأة على السواء، والجهاد ماض إلى يوم القيامة.. والله لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض.

نقول هذا والعبث العابث.. حول الحقوق والواجبات هنا وهناك.. يلهي بعض الغافلين.. حتى يكادوا أن يصدقوا الكذب.. ويستحسنوا الافتراء.. نعم يلهيهم عن العمل الجاد البناء لتحقيق ما أمر الله به.. والوقوف بوعي عند الذي يعنيه قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. في خطاب للرجال والنساء على السواء.

ذلك لأن أمر هذه الرسالة التي شاء الله أن تكون سيرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الصورة الناطقة بصدقها واتساقها مع واقع الإنسان كما خلقه الله.. ليس أمراً منوطاً بحياة النبي الموحى إليه وحسب.. ولكنها دعوة الله إلى عباده حتى يرث الله الأرض ومن عليها ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

ليت شعري.. أي نذارة هذه النذارة.. وأي شيء هو هذا الانقلاب على الأعقاب اليوم.. حيث الأفئدة هواء.. والانبهار بما عند الآخرين بالغ المدى.. والانهزام الداخلي مفخرة عند أنصاف المتعلمين، وعنوان حضاري عند البلهاء والزائفين.

على هدي هذه الإشارة العابرة التي يود المؤمن ـ والقلوب تدمى ـ أن يكون فيها شيء من الذكرى . . وفي ضوء الحقائق التي لا تخفى على ذي لب . . نرى لزاماً على أمتنا، وهي في مواجهة الامتحانات القاسية، في أيام تطاول ليلها . . واستنسر فيها البغاث . . أن تعود إلى سيرة نبيها المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ تقرأ من خلالها ـ بتبصر وإدراك ـ مقومات وجودها الحقيقي، وعناصر ذاتيتها التي يجب أن تكون .

إنها قراءة جديدة ندعو إليها . . وأسمح لنفسي أن أقول : إنها القراءة الخضراء المثمرة المعصوم ـ عليه الصلاة والسلام ـ التي خربت ثلاثة وعشرين عاماً في أرض التاريخ . . وليست القراءة الجافة الجرداء حيث القلب مغلق، والعقل مضروب عليه بالأسداد . .

إن كل الأحداث والوقائع . . وعلى صعيد الفكر بخاصة . . توجب حتمية أن تواجه الأمة هذه السيرة ـ ومن خلال القراءة الجديدة ـ بالقلوب والعقول والمشاعر . . تعطيها مكانها من صدق الإرادة فيما يجب أن يكون أو لا يكون . . سواء أكان ذلك على ساحة المبادئ . . أو على ساحة البطولات التي حققت هذه المبادئ، واستطاعت أن تخرج منتصرة ظافرة بعد صراع مرير ـ في ميدان النفس والبيئة ـ مع الواقع الجاهلي الذي تجاوزته إلى غير رجعة، وصراع قد يكون أشد منه مع أعداء الرسالة هنا وهناك .

وإذا سلم ذلك للأمة على أصول منهجية تربط الأمور على تشعبها بالعقيدة . . تخلصت من هذا الدوار المقيت الذي هي واقعة فيه في تطلع للتخلص من القيد . . وتشوف إلى النصر المرتقب على الأعداء .

لقد أعطى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الأمة مفاتيح الكرامة والقوة . . وأرسى القواعد التي تكفل لها ـ أن لو أفاقت على الالتزام ـ متبوأ القوة ومكان القيادة في العالمين . . فمن العجب العاجب أن نستجدي وعندنا مفاتيح العطاء . . وأن نضرب في صحارى الغفلة والتيه . . وبين يدينا النور المبين . . والسيرة التي قدمت البرهان الخالد . . على أن رسالة الإسلام هي لواقع الإنسان . . وللحياة . . ولسعادة الدنيا والآخرة .

ترى . . هل هو الاستسلام لوسوسة الشياطين ، أم هو قابلية الاستمرار في هذه المرحلة ريثما يؤذن فجر جديد؟ !

إن العبرة في أولئك الذين حمَّلهم رسول الله دعوته في تربية ماجدة عليها ، وجعلهم في طليعة صناع التاريخ . . إن العبرة في هؤلاء الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه . . وفي الذين هاجروا معه في سبيل الله . . إن العبرة في هذا الرعيل الذي لم يبخل بالعطاء . . : قائمة تدعو هذه الأمة إلى الحق . . وتثير فيها كوامن الوعي كي تكون عند الذي يدعوها إليه الرواد الأمناء الذين هم ضميرها . . ومؤشر الحياة في كيانها . . وذلك من أقرب نتائج القراءة الجديدة لسيرة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ولكن تكون بادرة اليقظة صحيحة ومشرقة . . عندما نواجه السيرة لنحتكم إليها ، ونستلهمها . . لا لنحكم عليها بأفكار عداتها . . وما أوهمنا دعاة التغريب أنه من المسلمات .

ألا ما أكرمه عنواناً . . أن تكون المعاناة لوقائع السيرة برواياتها الموثقة الصحيحة . . معاناة الأوفياء . . الذين يرون في الأوبة الصادقة وقوفاً عند عهد الإيمان . . وموثق الدعوة مع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ألا وما أشجعه موقفا . . أن نكون مع السيرة بكل ما تحمله وقفة الرجال من تبعات . . وأن نشير بأصابع الاتهام ـ سلوكاً وعملاً ـ إلى أولئك الذين تثقلهم شهواتهم عن مواقف الرجولة والالتزام؛ فيحلو لهم أن يتظاهروا بالعقلانية والموضوعية، والقناعات المجافية لمسلمات الرسالة ووقائع السيرة، وما هو إلا العجز والتقليد الأعمى ناسين قول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: [ **لا يكن أحدكم إمَّعة** ].

أرأيت إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ كم له من أبعاد . . وكم لمعانيه من ساحات في حياة الفرد والجماعة والأمة . . ألم ترَ إلى اليد الأمينة؛ يد أبي القاسم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ التي لامست صحراء الحياة، فحولتها إلى مرابع مثمرة ورياض غناء، وأعلنت ميلاد الإنسان، ليكون محور البناء الحضاري السليم، وجعلت من الطاقات المهدرة في الجاهلية عناصر تعمل وتبني، وكشفت عن العقول مغاليقها، وفتحت منافذ النور بحمل الرسالة والاستشهاد في سبيل الله.

وإنا لنسأل الله الذي أرسلك يا رسول الله رحمة للعالمين أن يأخذ بأيدينا إلى حيث نحول وجوهنا شطر الكتاب الذي أوحي إليك، وأن نتخذ من سنتك المطهَّرة وسيرتك المشرقة المباركة خير مثال يحتذى . . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . ينصر من يشاء وهو القوي العزيز . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# الذكرى .. والاعتبار(*)

في كلام موصول بالذي دعونا إليه في العدد الماضي، من القراءة المثمرة للسيرة التي ضربت ثلاثة وعشرين عاماً في أرض التاريخ. . القراءة التي تنطلق من وضوح الرؤية، وحسن التطلع إلى الغاية. . والتي تتوافر لها يقظة القلب والعقل والمشاعر. . الأمر الذي يجعل السيرة حكماً يحتكم إليه، لا محكوماً عليه بقالة الفجرة، ودعاوى الذين في قلوبهم مرض. . أولئك الذين همهم تقمم ما يتوهمون أنه مثالب. . والحكم على تصرفات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال أنفسهم الهابطة. . وما هم فيه يعمهون.

في كلام موصول بذلك. . أود ـ ونحن ما نزال في ظلال شهر المولد ـ أن أشير مجدداً إلى أن هذه القراءة الجادة الصادقة، هي الكفيلة بأن تنقل المسلم ـ بعون الله ـ من ساحة أن تكون السيرة للمعرفة وحسب، إلى ساحة أن تكون السيرة للعمل والنباء.

إن الإيمان بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأن طاعته من طاعة الله، قمين ـ إذا صدقت الوجهة ـ أن يحمل المؤمن تلقائياً إلى حيث سلامة التصور. . ومن بعدُ إلى سلامة التطبيق. . وهذا كائن في الحدود النظرية للموضوع. . والذي يخرجه إلى الطور العملي التنفيذي على صعيد السلوك والممارسة، هو أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فداه أبي وأمي ـ : ليس صاحب كلام

(*) مجلة حضارة الإسلام: العدد الثاني، السنة السادسة عشرة، ربيع الآخر ١٣٩٥هـ، نيسان ١٩٧٥م.

مقطوع عن السماء . . مطبوع بطابع الفلسفة التي تدعو الناس إلى نظرية أو مبدأ، دون النظر إلى معنى قدرة صاحب الدعوة على إخراج ما يقول إلى حيز الوجود ليكون واقع الحياة . . وإعطائه الصبغة العملية في نفسه، وفي كل من ولاه الله أمرهم، . . بل كان الأمر على العكس تماماً؛ الأمر الذي جعل ذلك برهان الواقعية في دعوته . . واقعية الإنسان في فطرته واستعداده، وواقعية صلته بالكون والحياة . . وأن الأفكار بالنسبة إليه . . ليست ترفاً من الترف . . ولا مسلاة يتقضى معها الليل والنهار . . بل إنها منهج بناء الإنسان . . الإنسان بوصفه إنساناً قبل أن ينتسب إلى جنس أو لون . . ومنهج البناء لنظام الحياة . . الحياة بكل آمادها وأبعادها . . غير مقيدة بزمان أو مكان .

من أجل ذلك كانت قراءة السيرة للمعرفة من أصحاب البصائر . . هي الجسر الطبيعي الذي يصل بالمؤمن إلى ما وراء ذلك من الحركية والبناء . . لما أن صاحب السيرة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهو القدوة والأسوة ـ . . كان في حياته كلها . . وحتى في خاصة نفسه وأهله . . يروح ويغدو خلال تلك الحقبة الزمنية المباركة : على صعيد البناء فيما يسعد الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، ولعل هذا واحد من مظاهر قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

فإذا توافرت لذلك الأمر أسبابه، وأُتيحت الفرصة لحسن تحقيقه . . استقام الطريق، وتطامنت التـرهات، وكـان بالإمكان أن نرى من خـلال وقـائع السيرة، كيف أن أولئك الذين استجابوا لدعوة النبي الأمي قد وجدوا ذواتهم عند تلك الاستـجابة . . وجـدوا ذواتهم على الشكل الذي يحـقق إنسـانيـة

الإنسان . . بعد أن كان كابوس الضياع والتمزق . . هو الآمر الناهي في حياة الفرد والقبيلة آنذاك . .

وعندما وجودا ذواتهم استطاعوا أن يعطوا جديداً للإنسانية . . وأن يقدموا روافد الإبداع للحضارة . . لقد كان العطاء وفيراً، ثمرة انعتاقهم من العبودية للعباد، والتقليد الأعمى . . والأوثان التي تصنعها أيديهم . . ولولا الانعتاق والتحرر . . لم يكن في مقدورهم، أن يفكوا أغلال الإنسانية، وأن يحرورها مما ألم بها من تمزق وضياع .

وشيء آخر وراء ذلك . . إنه إذا وجدت القراءة التي تنقلنا من المعرفة إلى الحركة والبناء . . ومن القراءة التاريخية العابرة إلى صناعة الجيل والمجتمع . . وجدنا من خلال معاناة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه للحياة في العهد المكي والعهد المدني كليهما ـ وهو يربي بالكلمة والعمل والقدوة ـ، كيف يكون ارتباط جزئيات الحياة بكليات الرسالة، وكيف يأخذ التخطيط عند مواجهة الحق للباطل موقعه من تطبيق تلك الرسالة .

إن الصراع مع الوثنية في مكة : رافقه صراع مع النفس وحملها على الجادة . . وإن الصبر والشعور بالمسؤولية والطمأنينة إلى تحمل تبعة الرسالة، وإعداد العدة المستطاعة، والأخذ بأسباب النصر . . كان يرافقه دائماً اللجوء الصادق إلى الواحد الأحد سبحانه، والطمأنينة بذكره وما عنده، والرضا بقضائه، في المنشط والمكره . . فالمعركة دائماً في ميدانين :

**أولهما** : ميدان النفس لتكون عند المؤمنين كفاء المسؤولية والثبات .

**أما الثاني:** فهو ميدان المجتمع الغارق بموروثات الجاهلية كيما يتحقق التغيير إلى ما هو انعكاس الرسالة وصورتها العملية في واقع الحياة.

وعندما تفتحت آفاق المناخ الجديد بعد الهجرة.. وبرزت تبعات المجتمع الجديد، الذي أريد له أن يكون النموذج الأسمى لتحكيم شريعة الله عقيدة وعبادة وسلوكاً ـ وتبعه بروز خصوم جدد للدعوة، في اليهودية والنفاق ـ: رأيت حبل المراس يزداد متانة وقوة، والإنابة إلى الله لا يفتأ المؤمنون أن تكون مثابتهم في حالات السلم والحرب، دون أن يكون ذلك على حساب الأخذ بالأسباب.. الأمر الذي جعل الطاقات جميعاً توظف في سبيل القضية الكبرى قضية الأمة في رسالتها المحمدية.. وتحولت المدينة المنورة وما حولها إلى مصنع للحياة الكريمة بشتى فروعها وألوانها، وكان ذلك فتحاً جديداً في دنيا الناس على هذه الأرض.. في ناظم مبارك من المنهج الرباني تحت راية دعوة الله، وفي سبيل إعلاء كلمته.

صحيح أن العلم الحديث قد أضاف إلى قدرة الخصوم شيئاً كثيراً في صراعهم مع هذه الأمة.. واليهود.. ضمن هذه السلسلة البشعة الحاقدة يفيدون من معطيات العلم والاقتصاد، في حربهم الشرسة ضدنا وعدوانهم علينا.. ولكن تظل المنطلقات هي المنطلقات.. والعلم قدر مشترك بين الناس في دنياهم العريضة. نعم.. المنطلقات هي في علاقتنا بأعداء الإنسانية هؤلاء.. بدءاً من مواقفهم من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته.. ثم ارتحال آخر يهودي من الجزيرة بأمر عمر ـ رضي الله عنه ـ.. وحتى إخفاقهم

فيما حاولوا مع آخر أقوى رجل في بني عثمان . . إلى أن كان ما كان من بعد .

انظر إلى المشكلة من ناحيتي العقيدة والفكر . . من ناحية الحقوق الدولية في السلم والحرب . . من ناحية المناجزة والمواجهة في ميادين القتال . . من ناحية خلائق يهود في التعامل على كل ساحة وصعيد .

انظر إليها من أي زاوية شئت ـ ولا نقصد من التعداد الحصر ـ تجد أن في سيرة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ اليد الأمينة التي تشير إلى مكمن الداء بموضوعية وعمق، وتنصح بناجع الدواء الذي لا دواء غيره . . حيث الحكمة حين تنفع الحكمة، والسلاح حيث لا ينفع إلا السلاح . . دائماً وضع الأمور في مواضعها بذاتية وأصالة ضمن منهج مدروس تمليه طبيعة الرسالة، ومسلك قتلة الأنبياء في معاملة الآخرين . كل ذلك بالأرقام الناطقة، والوقائع التي لا تدع زيادة لمستزيد .

وليس ترسم الخطى التي تمليها وقائع السيرة بمقصينا ـ كما أسلفت ـ عن الإفادة من معطيات العلم في ظل قوله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ .

فليس من المتعذر على هذه الأمة أن تغترف من هذا البحر الزاخر بضياء النبوة، بأداة حديثة يصنعها العلم، في الوقت الذي نجد القرآن حثيث الدعوة إليه . . حافلاً بالكشف عن مسالك اليهود وانحرافاتهم . . وتاريخهم مع الحقيقة، ومع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهل السيرة إلا تحرك في ضوء مفهومات القرآن ودلالة آيه . وما أجدر المسلم ـ حاكماً كان أو محكوماً ـ أن يكون وقَّافاً عند ثوابت القرآن والسنة الصحيحة لما أنها من عند الله ! ! .

لقد واجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشكلة الغدر والمكر، والحرب النفسية عند اليهود حين حاولوا اغتياله وتدبير كل ما من شأنه الإيذاء وإحداث الرعب ـ على زعمهم ـ في النفوس. وواجه مشكلة الكراهية والحقد التي هي من أبرز خلالهم حتى حرفوا نصوص التوارة وابتدعوا جديداً من عند أنفسهم، بينما كانوا يستفتحون في الماضي على أعدائهم بنبي يبعث في العرب، مذكورةٍ صفاتُه عندهم في التوارة. كما واجه افتراءهم وقلبهم للحقائق، وشهوتهم إلى المال مراباة وتجارة حتى بالأعراض، صورة عن الانحلال الخلقي، واستخدام المرأة سلاحاً لتنفيذ ما إليه يتطلعون.

ولم تكن مواجهته لذلك كله بمغنية عن الحوار الفكري مجادلة بالتي هي أحسن في حالات السلم، ومواجهة قتالية في حالات الحرب، ويَعظةً لما كان من نقضهم للمواثيق وخيانة العهود، والتمتمات الآثمة في الظلام، في تحالف حاقد مع النفاق وأهله والشرك وسدنته هنا وهناك.

واليهودي هو اليهودي.. فقد ملأت الدنيا.. مظاهر ما ذكرناه لتحقيق أغراضهم في بناء ما يريدونه دولة لهم تمكنهم من الانقضاض على هذه الأمة بدءاً من وعد بلفور المذؤوم إلى اليوم.. حتى بلغ تعميقهم لفلسفة الحقد والكراهية ـ بجانب كل العدوان على الأخلاق والقيم ـ أن صرحت إذاعتهم بعد اغتيال الملك فيصل ـ رحمه الله ـ: «إن إسرائيل لا تأسف على موت الرجل الذي بلغ من عدائه لإسرائيل حد عدم التمييز بين الصهيونية والشيوعية».

والذي تقتضيه طبائع الأشياء، والاعتبار بدروس التاريخ، وعلاقتنا بهؤلاء الأناسي ردحاً من الزمن. . حيث نعاملهم بأخلاق الرجال ويعاملوننا بالدس والخيانة والعنف. . أن طريقة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ باستخدام اللغة المناسبة في الأحوال كلها سِلْماً وحرباً هي الطريقة المثلى حين قاد الأمة إلى وقاية نفسها والإنسانية شرورهم وأذاهم. . حينما كان يتصرف في ضوء ما كشف عنه القرآن الكريم عن الثوابت في منطلقاتهم وخلائقهم خلال تاريخهم غير النظيف. . ولذلك بات من العداء لهذه الأمة في معركتها معهم، إبعادها عن منارات هداها. . ومصادر قوتها وتجربتها في سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

إننا ـ ما تعاقب الليل والنهار ـ مدعوون إلى استئناف التوجه شطر تلك الالتماعات التي أضاءت دروب الإنسانية على الزمن. . في كل خطوة خطاها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أرض التاريخ. . كيما نحدد في ضوئها مفهوماتنا، ونجد ذواتنا؛ فنتحرر في حاضرنا، ونبني بالأيدي الأمينة والعقول المتفتحة والقلوب المؤمنة مستقبلَنا.

وإننا حين نتوجه شطر تلك المعالم: نذكر أن سيرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عنوان خير لا يقادر قدره، وبحر زاخر من العطاء لا يدرك له ساحل. . ونقطة البدء هي أن تكون لدينا القناعة الإيمانية بوجوب التأسي والتوجه ـ قدر المستطاع ـ نحو المثل المطلوب، وأن يتاح للرواد من أبناء الأمة صنع التيار الذي يصنع جيل السيرة، وأن يكون كل قادر على ذلك عند

الأمانة التي ائتمنه الله عليها . . حسب موقعه والطاقة التي بين يديه . . غير ناسين أن التمحيص دائماً رفيق الإيمان على الدرب الطويل، وأن الابتلاء غير منفك عن العقيدة . . فما أُعد لأهل الإيمان المجاهدين من جنة عرضها السماء والأرض، ومن الشهادة في سبيل الله حين يقضون نحبهم على الطريق: هدية غالية لا يصلح لها البطلة والعابثون . .

نقول هذا في ظل خطاب الله لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما هو درس للأمة وتوجيه لها حتى تقوم الساعة: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾ . والله المحمود على كل حال . وصلى الله وسلم وبارك على الأسوة الحسنة سيد الأنبياء وإمام المجاهدين محمد بن عبدالله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء .

## إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به(*)

الجزيرة العربية وما حولها في ترقب للذي يمكن أن يحدث في أعقاب إرسال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى عدد من الملوك والأمراء، يدعوهم إلى الإسلام ويحمِّلهم ـ إن لم يسلموا ـ مسؤولية انحراف رعاياهم عن كلمة الله.

وفي هذا الجو من الترقب، والإحساس بأن روحاً جديدة تسري في كيان تلك الديار، وقعت غزوة مؤتة، وذلك في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة بعد عمرة القضاء بنحو خمسة أشهر، فقد تجاوز شرحبيل بن عمرو الغساني أحد عمال الروم على الشام كل قواعد العرف الدولي يومذاك، وكل أخلاق الرجولة، وما تقتضيه معاملة الرسل من حسن الوفادة والإكرام.. مهما اختلفت الاتجاهات والأفكار.. تجاوز شرحبيل ذلك كله ووقع في حمأة الشذوذ المخزي حين قتل الحارث بن عمير رسولَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أمير بصرى.. حيث لقيه فسأله عن وجهته، فلما عرف أنه من رسل محمد، أمر به فأوثق رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه.

١ - إذا كان لهذا الحادث دلالته من حيث كونُه عدواناً على السلطة الإسلامية، مع خروجه على قاعدة أن الرسل لا يقتلون.. فإن وقعه كان شديداً على المسلمين الذين كانت الدعوة إلى الله حياتهم ووجودهم..

(*) مجلة حضارة الإسلام: العدد الثالث، السنة السادسة عشرة، جمادى الأولى ١٣٩٥هـ، أيار ١٩٧٥م.

فانتقاص أي عروة من العرى المرتبطة بها . . انتقاص لكرامة المجتمع المسلم . . والرضا به عقبة في طريق تلك الدعوة أن يشتد منها الساعد، وتسير في طريق التمكين .

أضف إلى ذلك أن طبيعة المرحلة التي كانت تمر بها الدعوة . . تقتضي الحفاظ بدقة بالغة ـ وأكثر من أي وقت مضى ـ على هيبة الإسلام أن تنتقص في النفوس، وعلى الطمأنينة إلى سلامة وجهته أن تتزعزع في القلوب . . وتلك حلقة تأتي مكملة لما حصل من التوسع في ساحة التبليغ حين أرسل الرسُلَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ذلك العدد من الملوك والأمراء يدعوهم بدعاية الإسلام . . في وقت دخل في الإسلام كثير من المتربصين الذين تحكمهم الرغبة والرهبة، والذين يصدق فيهم قول الله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ . كما يكشف عن حقيقة أمرهم قوله سبحانه : ﴿ **وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ** ﴾ . من أجل هذا . . كان السكوت عن جريمة شرحبيل غير متصور ؛ لأنه لا يتسق مع المنهج الذي لا بد من التزامه في نشر الدعوة . . والحفاظ على كرامة من يحملونها إلى الناس . . وحراسة طريقها بسياج من الهيبة الأخلاقية القادرة على الحماية والانتصار .

ولقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على خير ما يكون استجابة لمشاعر الإيمان الصادقة عند المسلمين ؛ فأرّقه أن تنتهك الحرمة، ويسفك دم رسوله، فعلَّم من يتولون أمور الرعية كيف يحفظون للأمة حرمتها،

ويستجيبون لرغبتها في مقارعة أهل الباطل، ويعبئون قواها المادية والمعنوية في ظل الحداء الخالد: «حيَّ على الجهاد». . فندب ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين إلى القتال في سبيل الله. وسرعان ما تجهز الناس في جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل.

٢- وعلى طريقته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حسن التنظيم، والحرص على سلامة القيادة بأن توضع الأمور مواضعها، ويأخذ الأكفاء مكانهم في الصف. . أمَّر على الجيش زيد بن حارثة. . وقال: إن أصيب، فجعفر بن أبي طالب. . فإن أصيب جعفر، فعبدالله بن رواحة. . فإن أصيب فليرتض المسلمون من بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم. وعقد لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة. . وفي شعور غامر بمسؤولية الجهاد، ورد كرامة الدعوة، والذود عن حياض الإسلام. خرج المسلمون يودعون جيشهم منادين: «صحبكم الله بالسلامة، ودفع عنكم، وردكم صالحين غانمين. .».

وبصورة معبرة عن فرح المقاتلين بهذا الشعور العارم من إخوانهم قال عبدالله بن رواحة رداً على هذا الوداع:

لكنني أســـأل الرحمن مغفـرة ... وضربة ذات قرع تقذف الزبـدا

أو طعنة بيدي حـــران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشـــاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي ... يا أرشد الله من غاز وقد رشـدا

٣- وأمر ـ صلى الله عليه وسلم ـ المجاهدين أن ينتهوا إلى مقتل الحارث ابن عمير. . وكان من توجيهاته التي تدل على ربانية هذه الدعوة وأخلاقيتها

المطلقة في السلم والحرب، وعلى إنسانية الحضارة التي يبنيها . . ما كان من وصيته للمقاتلين: «أن لا يغدروا، ولا يغلوا، ولا يقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا يغرقوا نخلاً، ولا يقطعوا شجراً، ولا يهدموا بيتاً، ولا يتعرضوا لرجال في الصوامع معتزلين للناس . .». وأين هذا من الذي تحمله حضارة أقوياء اليوم الذين همهم العدوان على الحرمات، والقضاء على الوجود الإنساني عند غيرهم، واستنزاف خيرات الشعوب لحسابهم، والأخذ بيد المعتدي الغاصب، خدمة لمصالهم وأغراضهم عند تقليب ميزان القوى في العالم . . كل ذلك ضمن مقاييس السيد والمسود . . ولقد سقونا من ذلك الصاب والعلقم . . ولا يزالون . . ويريدون منا بعد ذلك كله أن نرضى، بل أن نحمد لهم سكين الجزار . . وسوط الطاغية . . ومن قال: (لا) فهو إرهابي غير متحضِّر . . وكل يوم يطالعوننا في معاونتهم لليهود بأذى من لون جديد . . ويرحم الله من قال:

يريدون مني أن أغني باسمهم وأي هضيم باسم أعدائه غنَّى

والأنكى من ذلك ـ وهو ما يغفل أو يتغافل عنه بعضنا ـ أن من أسلحتهم التي يقاتلوننا بها . . محاولاتهم الآثمة، وبكل الأساليب الظاهرة الخفية . . أن يشككونا بذاتنا، وبأصالة أمتنا، وأن يحولوا بيننا وبين المنابع الأولى لهذا الدين الذي كنا به خير أمة أخرجت للناس، كل ذلك كي يضمنوا وصولنا إلى مرحلة اللاعودة إلى تلك المنابع، وكفراننا بالقيم التي حفظنا بها إنسانية الإنسان على مدى العصور، وأن تكون منا وقفة المستخذي المستجدي أمام الذي يريدون . . . في الوقت الذي لا يغني غناء العودة الجادة إلى تلك القيم

الربانية أيٌ من تلك السبل التي يراد لنا اتباعها . . . مولين ظهرنا للحق الذي به نزل الكتاب .

٤- وتوجه الآلاف الثلاثة من المقاتلين إلى حيث وجههم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . . يرسمون بخطاهم ملامح التغيير في خريطة العالم الذي كان يئن من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان . . سار الآلاف الثلاثة لم يخرجهم من المدينة إلا جهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، ولو كان للأرض التي ركَضوا عليها خيلهم بين الحجاز والشام أن تنطق : لنطقت مزغردة لمقدمهم الذي سيسهم في تحرير الإنسان من كل ألوان الوثنية والخرافة .

ووصل جندنا إلى مشارف الشام ، وعندما نزلوا (معان) بلغهم ما لم يكونوا يتوقعون . . بلغهم أن هرقل نزل في (مآب) من البلقاء ومعه مئة ألف من الروم ومئة ألف من نصارى العرب ، عليهم رجل من (بُليٍّ) يقال له : مالك . .

وكان من رأي بعضهم أن يكتب إلى رسول الله بالأمر ؛ ليرد جنده أو يزيدهم رجالاً ؛ لأن مواجهة المسلمين بعددهم القليل لمئتي ألف من أبناء الأرض العارفين بمداخلها وشعابها - وهو العدد الذي لم يكونوا يحتسبون - ومن ورائهم دولة الرومان بغناها وغطرستها . . ليس بالأمر السهل حسب المقاييس التي تعارف عليها البشر في الحروب ، ولكن كان لا بد من الاختيار الصعب ، والإقدام الذي قضى على كل تفكير بالإحجام ، ثم تجاوز عقبات الأرض إلى التمسك بأسباب السماء . . وعبدالله بن رواحة الذي أرهبته فكرة الإحجام أو التردد ؛ لما يترتب عليها من آثار سلبية في المستقبل البعيد أكثر مما

أرهبه ثقل جيش العدو . . كان منه ـ رضي الله عنه ـ تحريك كوامن العقيدة وإلهاب العزائم، والتذكير بسلاح المعركة الحقيقي، وبالغاية التي من أجلها كان الخروج في سبيل الله، ودعا إلى اتخاذ الموقف الذي سيكون له ما بعده . . وكان مما قاله: «والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بكثرة سلاح ولا بكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به . . انطلقوا . . والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان، ويوم أحد فرس واحد، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور عليهم، فذاك ما وعدنا الله ووعد نبينا، وليس لوعده خلف، وإما الشهادة . . فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان . .». فتشجع الناس ومضوا إلى مؤتة.

وكلمات عبدالله ـ أعلى الله مقامه عنده ـ جديرة أن تستوقف كل باحث وناظر في تاريخ هذا الإسلام يريد تفسيره بتجرد وموضوعية، وقمينة أن تكون ـ واليهود شر غاصب في جوار مؤتة ـ سبيلنا لإدراك طبيعة المقاتل المسلم، وسلامة تصوره للرسالة التي يجاهد في سبيلها، ومدلول الراية التي يبذل روحه تحتها . . وإفادته من وقائع السيرة . . ووعيه لكل خطوة يخطوها عندما يلبي نداء الجهاد . . فهو إنسان واع بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، تحكم تصرفاته في كل المواقف مقاييس وقيم حددتها تلك الرسالة، فكان التزامه بتلك المقاييس، وتطلعه لتحقيق تلك القيم صورة عملية لما آمن به، فلا تزيده الوقائع ـ مهما كان لونها ـ إلا إيماناً وتسليماً . . إنه لا يهن لما يصيبه في سبيل الله ولا يضعف ولا يستكين، بل يصبر على لأواء الطريق في تحقيق

ما أمر به، والله يحب الصابرين. ومن هنا كانت قدرته على العطاء. وبعد أخذ العدة المستطاعة، لا مندوحة عن التسليم المطلق، والطمأنينة إلى أن النصر من عند الله.. والمؤمن بمقتضى إيمانه قد باع نفسه وماله لله عز وجل، بأن له دار الكرامة عنده سبحانه، وَعْدَ الله، والله لا يخلف المعياد.. وهذا الذي نقول بعض ما يوحيه تذكير ابن رواحة إخوانه بأنهم إنما يقاتلون بهذا الدين الذي أكرمهم الله به.. نعم إن هذا الدين: هو بالمفهوم الذي يفهمه حتى قليل البضاعة في العربية لو كان منصفاً، من قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾.

ولشد ما كانت الاستجابة سريعة وصادقة لما قاله عبدالله، وكان لكلامه كبير الأثر في النفوس.. وأقدم القوم على القتال واثقين مطمئنين، لما أن المؤمن يقاد من عقيدته فينقاد، ويذكَّر بالجلَّى فيتذكر.. وذلك ما يهوِّن عليه الشديد من الأمر، ويرقى به إلى حيث يستعلي ـ بمعونة الله ـ على كل المعوقات.

والتحم الجيشان.. وحمي الوطيس.. وقاتل المسلمون بعددهم القليل القليل قتالاً مذكوراً قالت من خلاله عقيدة التوحيد كلمتها.. واستشهد الأمراء الثلاثة كلٌّ بعد صاحبه وفق الترتيب الذي رسمه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، عندما ولاهم الإمارة ـ رضي الله عنهم وعن إخوانهم أجمعين ـ.

لقد استشهدوا، وهم في موضع المسؤولية يبلون البلاء الحسن في هول هائل من الشدة، حيث كانت رحى الحرب تطحن بلا هوادة، وذهبوا إلى

ربهم، الواحد منهم تلو الآخر صابرين صادقين مستبشرين، بعد أن أظهروا في مجالدة الأعداء ـ على ما كان من شدة الكرب ـ ما دل على أن العقيدة إذا فسح لصاحبها المجال، ووضع في مكانه الطبيعي من الصف: تصنع الأعاجيب، وتزري قدرتُها الفاعلة بكل الصعاب.

وبعد أن قُتل عبدالله بن رواحة سقط اللواء، فاختلط المسلمون والمشركون.. وكانت ساعات من ساعات الخطوب التي لا تنسى في تاريخ أولئك الغر الميامين من أبطال الإسلام.. بما صنعوا على أرض الشام.. وكانت المقاتلة آنذاك بأمس الحاجة إلى الحزم الذي يحول دون الفوضى وتعريض الجيش لمهلكة محققة.. ويعمل الإيمان عمله.. إذ السيوف مشرعة والقلوب تهفو إلى الله.. هذا ثابت بن الأقرم يأخذ اللواء ـ بشجاعة المؤمن وثباته ـ ويصيح: إليَّ أيها الناس.. ويجتمع المسلمون عليه من كل وجه.. فلما نظر إلى خالد بن الوليد قال: خذ اللواء يا أبا سليمان.. ويجيبه خالد بأدب المجاهد الواثق بما عند الله، المتجاوز حدود النفس والهوى.. لا آخذه، أنت رجل أحق به... وعلل هذه الأحقية بقوله: أنت رجل لك سن وقد شهدت بدراً.. غير أن ثابتاً يجعل فيصل الأمر كفاءة خالد في هذا الموقف الحرج فيقول: خذه أيها الرجل، فوالله ما أخذته إلا لك.. فأخذه خالد، وتولى القيادة.. وظل هذا الحوار الفريد بين خالد وثابت ـ رضي الله عنهما ـ ومثار النقع يتعالى ويتعالى فوق المقاتلين، والموت فاغر فاه يريد أن يلتهم فلا يذر.. ظل هذا الحوار الفريد دليلاً على أن هؤلاء الرجال قد صدقوا ما

عاهدوا الله عليه، وأن الذي كان يقود خطاهم على طريق الريادة للإنسان: إنما هو التمكين لكلمة الله في الأرض، وأن يكون ذلك في موضع القبول عنده سبحانه.

ولا تسل عن الحنكة العسكرية والإخلاص في أداء الواجب وحق الإمارة.. فقد بدا خالد ـ رضي الله عنه ـ وهو سيف من سيوف الله ـ في الذروة من الكفاءة القتالية، والاحتيال لما فيه مصلحة جيشه، والخلوص به من مأزق غاية في الحرج والعسر، وذلك من طريق الانسحاب وفق صورة هي أشبه بدحر العدو.. وإنها لوقفة قد لا تتكرر في المعارك، ولكن يترتب عليها ما يترتب من الآثار.. وتفضي إلى عدد من النتائج التي لم تكن في الحسبان..

والانسحاب مع سلامة الجيش.. وإيهام العدو غير ما أراده مدبر الانسحاب.. وتغيير الملامح التي تلقي الرعب في قلوب الآخرين..: ليس بالأمر السهل ـ كما يعلم ذلك المتمرسون بفنون القتال... ـ ولكن خالداً كان ـ بعون الله ـ كفاء الوقفة التي ندب إليها، فقد قاتل قتالاً اتسم بكل سمات الإقدام والحذر، وكان أن أعاد تنظيم قواته القليلة بعد الصبح، فجعل المقدمة ساقة والميمنة ميسرة.. وهكذا صنع ما أوهم الأعداء أن نجدات كثيفة قد وصلت إلى جيش المسلمين.. وأفلحت خطته بعد ذلك في مناوشة الرومان.. فلم يصل إلى إنقاذ جيشه فحسب.. بل استطاع أن يلحق بهم أفدح الخسائر بعد أن انكشفت بعض فرقهم وولت الأدبار، وقد انسحب خالد بقواته دون أن يدع للعدو فرصة التفكير بالانقضاض عليه، نتيجة

الخطة التي سلكها معه، وبعد أن شفى صدور أهل الإيمان بما أعمل في أهل الكفر من القتل والتشريد. يقول ـ رضي الله عنه ـ: «لقد دُقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية».

إنها عناية الله.. والإخلاص في الوقفة الماجدة المجاهدة.. ولئن انتهت غزوة مؤتة هذه النهاية.. فلقد كانت في حقيقتها نصراً مبيناً للدعوة الإسلامية، وكان لها كبير الأثر في كل الانتصارات التي حصلت فيما بعد.. ذلك أنها أشعرت الرومان ومن معهم من أعوانهم يومذاك أن قوة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد قد ألقت بثقلها في هذه الديار، وأن عليهم أن يحسبوا ألف حساب حين يوغلون في موضوع حربها والقضاء عليها.. لقد ولد في دنيا الناس إنسان جديد.. لقد تحرر الإنسان بالإسلام.. ولعل من أجل هذا أصلح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقالة بعض الناس بأن رجال مؤتة فُرار بأن قال: [**ليسوا بالفرّار ولكنهم الكرّار إن شاء الله تعالى**]. وأعظم بهذه الكلمات من شهادة.

ألا إن غزوة مؤتة ـ وقد وقعت على أرض من أرضنا.. وعلى بقعة من ديارنا ـ هي اليوم بمقدماتها ووقائعها، وما تحقق خلالها من المثل، وما التزم من القيم، وما أشرقت به وقائعها من سلامة التصور للرسالة وحسن التطبيق لأحكامها والصدق عند الجهاد.. إن غزوة مؤتة بحرارة عطائها وإيمان أبطالها: تظل أمانة في عنق هذه الأمة، وحجة عليها أمام الله على مسيرة التاريخ في صراعها مع يهود، وهم اليوم الغاصب الأثيم على أرض هي

امتداد لها . . تلك الأرض التي باركها الله، وأسرى بنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى مسجدها الأقصى . . . وإذا كان الاختيار الصعب اليوم يحملنا على أن نصنع التاريخ من جديد: فإن أبطال مؤتة كانوا بدمائهم وإخلاصهم من صناع هذا التاريخ، وإذا أردنا حقاً أن نمسك بزمام حركة التاريخ: فلابد أن يكون لنا من مؤتة وغيرها موئل جديد لانطلاقة لها من الرسالة فكرُها ودمها الدافق، ومن زيد وجعفر وابن رواحة وخالد وثابت روحُ العطاء والبذل في سبيل الله . . مع الجهد الجاهد أن يكون في الحسبان دائماً إعداد العدة في بناء الفرد، ثقافة قلب وعقل ومشاعر. والإفادة من معطيات العلم، ووضع الكفاءة موضعها لتعمل وتجاهد . . وعندها يكون العطاء هو العطاء، وترفد النهر الكبير كل روافد القوة والطاقة، حيث يوظف كل ما لدى هذه الأمة من إمكانات في سبيل قضاياها من خلال العقيدة . . العقيدة التي أعطت العالم كله زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب . . جعفر الذي قال فيه أحد إخوانه المجاهدين معه: لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، وقاتل القوم حتى قتل وهو ينشد:

يا حبذا الجنة واقترابهـــا طيبة وبارداً شـــرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنســـابها
علـي إن لاقيتهـــا ضرابهـــا

وجاء في بعض الروايات أنه قاتل بعد أن عقر فرسه راجلاً واللواء بيمينه، فلما قطعت يمينه أخذ اللواء بيساره، فلما قطعت يساره أخذ اللواء بعضديه حتى قتل.

وأعطتهم ابن رواحة الذي أقبل يبتسم للشهادة ويقول :

يا نفـس إن لا تقتلي تموتـي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيـــــت إن تفعلي فعلهما هديـت

ثم تقدم . وجاءه ابن عم له بقطعة لحم فناوله إياها وهو يقول : شد بها صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فما كاد يقطع منها مضغة حتى سمع الحطمة في ناحية من الجبهة استعرت بها الحرب ، فقال لنفسه : وأنت في الدنيا؟ ! ورمى بالطعام من يده ثم انتضى سيفه وتقدم حتى قتل .

ترى أي شيء هذا الذي صنعته الرسالة المحمدية في النفوس؟ وأي هزة خيرة هي التي غير المعالم وأصلحت مسيرة التاريخ؟ ورضي الله عن رجال مؤتة أجمعين ، وألحقنا بهم في دار كرامته . . ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ .